الفصل الثاني

هذا هو الزعيم

مقدمة

فى هذا الفصل يتحدث المؤلف أمين عز العرب من خلال مقالاته عن الأدوار التاريخية التى قام بها الزعيم خالد الذكر مصطفى النحاس. ومن خلالها نتعرف عن جوانب خفية فى شخصية النحاس والدور الوطنى الكبير الذى لعبته هذه الشخصية الوطنية لصالح مصر من خلال إعلانه أول مواجهة حقيقية ضد المستعمر البريطانى بعد إلغاء معاهدة 1936.

ويتناول هذا الفصل كيف كان النحاس حريصًا على تطهير البلاد من الفساد، وكيف كان حريصًا على إرساء مبدأ أن الأمة الحرة هى التى تضع سياستها من رأسها، ويشرح المؤلف قصة الخطاب المفتوح إلى الدكتور حسين هيكل بشأن خطاب عيد الدستور.. ويتناول هذا الفصل علاقة المصريين بالسودان ودور الزعيم النحاس فى هذا الشأن، كما يتناول هذا الفصل الإجابة على السؤال المحير من المسئول عن حريق القاهرة؟!.. وسيجد القارئ الإجابات الوافية على هذا التساؤل.

الأمة تعرف ما عمله «النحاس»

أرجو أن يثق دولة رئيس الوزراء دائمًا، بل أن يؤمن إيمانًا تامًا أننى فيما أتحدث إلى دولته به بين آنٍ وآخر إنما أصدر عن وحى من ضميرٍ خالصٍ ومن نفس لا تعرف إلا الصراحة ودولته، وقد انعقدت صداقتنا منذ ستة عشر عامًا وتوثقت فى السنوات العشر الأخيرة يعرفنى حق المعرفة، وأنا أعرفه كذلك.

وبهذه الروح أتحدث إليه، ولهذا لا أحب أن يحمل شيئًا من كلامى إلا على أحسن المحامل، فأنا لا أريد إعناتًا ولا تجريحًا إنما أبغى توضيحًا وتنويرًا وإظهار الحق أمام الناس جليًا صريحًا.

وهذه الصراحة التى يعرفها عنى لاتزال كما عرفها الصفة التى تلازمنى، فما أنا بالذى يداجى أو يداور، بل إننى أجهل أساليب المداجاة والمداورة، وأحمد الله على ذلك.

ولست أشك فى أنَّ دولته كلما خلا بنفسه نفدت كلماتى إلى قلبه، لأنها تخرج من قلبى.

وهأنا أسائل دولته فى أدبٍ واحترام عن تلك الأحاديث التى تنشرها جريدة الأهرام.. مستورة ومكشوفة.. تعلن أنها عن مصدر خطير مسموع الصوت نافذ الرأى، والأهرام درجت على أسلوبٍ غريبٍ، فهى تلمح وتصرح وتضع صورة دولته فى وسط الحديث كأنها تقول للناس - بل هى تقول لهم فعلًا - إن دولته هو المتحدث، فلم تخفه ولا عيب فى أن تظهره، ولا ضرورة لأن تخفيه.

وهذه الأحاديث ما هو الغرض منها والقصد الذى تهدف إليه، هل يراد أن يتشكك الناس فى وطنية مصطفى النحاس والناس يعلمون عن يقين أنَّ كل مجهود يبذل فى هذا السبيل إنما هو مجهود ضائع وأنَّ مثل هذه المحاولات قد فشلت طوال ربع قرن من الزمان وهى لم تفشل فقط، بل إنها جاءت بعكس ما قصد إليه منها، من غير مصطفى النحاس كان يقدم على إلغاء المعاهدة بجرة قلم وخصوم مصطفى النحاس كانوا يتندرون بهذه القصة لأنهم كانوا يرونها مستحيلة وأنَّ هممهم كانت تقصر دونها، فلما وقع الأمر وأصبح حقيقة جعلوا يتندرون بالجهاد فى سبيل تحقيق الأهداف القومية.

هل يراد التشكيك فى وطنية مصطفى النحاس بالإشارة إلى أحاديث جرت بينه وبين الفيلد مرشال سليم وغيره عند بدء المحادثات فى سنة 1950.

وماذا يضر مصطفى النحاس أو يضر مصر إذا كان زعيمها قد حاور أو ناور أو ساير أو صابر ليكشف خصمه ويعرف آخر ما عنده.

ما الضرر من هذا إذا كان الأمر قد انتهى إلى تصميم من مصر وصلابة من سياسييها وعلى رأسهم مصطفى النحاس تصميمًا وصلابة أتعبت الإنجليز وجعلتهم يصرحون بأنَّ لا أمل مع هؤلاء الناس فى تساهل ولا فى الوصول إلى حلٍّ ينقص شعرة عن الأهداف القومية.

ما قيمة ما يقال الآن إذا كان الإنجليز جميعًا ورجالهم الرسميون خصوصًا قد سجلوا فى الوثائق الرسمية أنهم لا حيلة لهم أمام تمسك مصر بمطالبها تمسكًا لا يعرف هوادة ولا لينًا.

وكيف تبتهج الوزارة الوزارة الحالية وتتيه بأنَّ دولة أو أخرى اعترفت بلقب ملك مصر والسودان، وهذا إنما يصدر عن الأساس الذى وضعه مصطفى النحاس عندما أعلن من فوق منبر البرلمان يوم 8 أكتوبر الماضى تمزيق المعاهدة على مشهد من العالم أجمع.

ومَنْ مِن الذين هاجموا مصطفى النحاس فى وطنيته نجح فى الربع القرن الماضى

حتى ينجح أى إنسان آخر...

إذن ليس الهدف هو التشكيك فى وطنية هذا الزعيم الجليل، ولعلَّ الحوادث تلهمنى أنَّ هناك غرضًا آخر ترمى إليه هذه الأحاديث.

إننى شخصيًا لست مؤمنًا بأن الباب قد أغلق نهائيًا بيننا وبين الإنجليز، وأنباء لندن تلح فى هذا الذى أذهب إليه وتدعنا نفهم دائمًا أنَّ هناك ردودًا وردودًا على ردود، فهل هناك تفكير فى حلَّ ستظهره الأيام القريبة، وهل ستواجه البلاد فى الأشهر القادمة بعرض من نوع أو آخر.

إنَّ مصر لاتزال تجهل على وجه الدقة ما تم مع الإنجليز وتجهل على وجه اليقين ما انتهى إليه الأمر مع وفد الأشقاء السودانيين الذى جاء إلى مصر وعاد إلى الخرطوم بعد مداولات ومباحثات لاتزال فى طىّ الكتمان.

وفى هذه الظروف تنشر مثل هذه الأحاديث المستورة المكشوفة.

ولعلِّى أكون مخطئًا فى هذا الاستنتاج أو واهمًا فيه، ولكن الواقع أننى لما اطلعت عليها حاولت أن أعلل ظهورها هكذا فى ميداننا السياسى، وإذا كان الهدف هو تجريح الزعيم، وكان هذا الغرض فى ذاته مستحيلًا، لأنَّ الإنجليز والعالم كله والمصريين يعرفون قدر وطنية هذا الزعيم وأنه ممتاز أكثر ما يكون بالتشدد والصلابة فى حقوق البلاد، والمصريون يفهمون أنَّ مصطفى النحاس قد أتى بما لم يأت به غيره وأنَّ موقفه من الإنجليز ليس بعده قول لقائل ففيم هذه الأحاديث.

لعلِّى لا أثقل على دولة رئيس الوزراء فأكتفى اليوم بهذا وأعود فألح على دولته فى الرجاء أن يكشف للأمة عن حقائق الموقف مع الإنجليز ومع وفد السودانيين، وفى نظرى ونظر الناس أنَّ هذا خير من تلك الأحاديث التى تنشرها الأهرام.

دعنا يا دولة الرئيس من الحديث عما فعله مصطفى النحاس، فالناس يعرفون ما فعله وتفضَّل فاكشف لنا عما عملته لعلَّه يكون خيرًا فنحمد الله لك ونضرع إليه أن يوفقك.. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.